

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) - خطبة لسماحة المفتي عبد العزيز آل الشيخ

الشيخ عبد العزيز آل الشيخ 2-5-1430

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله، صلى الله عليه، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى حق التقوى.

عباد الله، يقول الله جل وعلا في كتابه العزيز مذكراً عباده نعمته وفضله وإحسانه إليهم بمبعث محمد -صلى الله عليه وسلم-؛ ليشكروه على هذه النعمة، ويمتثلوا ذلك علماً وعملاً: (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ).

أخي المسلم، وقفات مع هذه الآية لتتذكر جميعاً هذه النعمة العظمى، والمنة الكبرى على أمة محمد -صلى الله عليه وسلم-، من الله على المؤمنين، أهل الإيمان يستشعرون هذه النعمة، ويعرفون قدرها؛ فمن شرح الله صدره للإسلام، وأناره بنور الإيمان عرف بهذه النعمة قدرها ومكانتها، وأن الله أنقذه من النار بمبعث هذا النبي الكريم، لما اتبع شريعته وسار على نهجه، من الله على المؤمنين: (إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ)، هذا الرسول هو محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي العربي -صلوات الله وسلامه عليه- رسولاً من أنفسهم، إنه ليس غريباً عليهم، يعرفه قومه قريش، يعرفون حسبه، ويعرفون نسبه، ويعرفون أخلاقه، ويعرفون فضائله، وأنه من بينهم متميز بكل الصفات الحميدة؛ فلم يخالطهم في جهالتهم وضلالاتهم، ما عبد وثن، ولا تعاطى مسكراً، ولا اقترف أي جريمة منذ أن نشأ إلى أن لقي الله؛ فهو على أتم الأخلاق وأكملها، وأفضل السير وأعظمها، وصدق الله: (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)، (يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ)، يتلوا عليهم هذا القرآن، الذي هو معجزة محمد -صلى الله عليه وسلم- الباقية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، هذا القرآن العظيم، الذي فيه خبر ما قبلنا، وحكم ما بيننا، ونبأ ما بعدنا، هذا القرآن الذي جمع الله فيه معاني ما سبقه من الكتب، وجعله مهيمناً عليها، يحق الحق ويبطل الباطل: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ)، هذا القرآن هو شرف هذه الأمة، وهو سبب عزها ورفعته: (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)، (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ)؛ فهو شرف لمحمد -صلى الله عليه وسلم-، وشرف لأمته، هذا القرآن متى التزمت الأمة به علماً وعملاً وتحكماً وتحاكماً ترى فيه العزة والخير والرفعة في الدنيا والآخرة: (وَيُزَكِّيهِمْ)، نعم. إنه زكى الأمة زكى الأمة الإسلامية، زكى أخلاقها، زكى عقولها، زكى النفوس جاء بكل خير وهدى: (وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)، نعم. كانوا قبل هذا النبي الكريم كان العرب قبل هذا النبي الكريم في غاية من الضلال، بل الخلق كل في غاية من الضلال العظيم ضلال، وهذا الضلال ضلال بين كما قال الله: (وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)، ضلال مبين في كل أحوالهم، قال جل وعلا: (فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوا كَمَا هَذَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ)، إنه ضلال بكل ما تحمله الكلمة من معنى، ضلال في العبادة؛ فعبادتهم عبادة فيه الغاية من الضلال، عبادة الأشجار والأحجار، عبادة الجن والطواغيت، عبادة الملائكة والصالحين، عبادة على غير هدى، تركوا عبادة رب الأرض والسماء وعبدوا من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً، ضلال في معاملاتهم؛ فالغرر والجهالة والظلم تسود كل المعاملات بينهم، ضلال في علاقتهم الاجتماعية؛ فهناك العداء والبغضاء والتفاخر بالأحساب والأنساب هناك الجهل العظيم؛ فما استطاعت أنسابهم ولا لغتهم ولا تربة أرضهم أن تجمعهم من هم في غلبة من التفرق والذل والهوان، يتحكموا في مصيرهم غيرهم، هم لا علم ولا معرفة في جاهلية جهلاء،

وضلالة عمياء، لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكراً؛ فهم في ضلال مبين؛ فجاء الله بمحمد صلى الله عليه وسلم-؛ فأنار العقول، وأصلح الأحوال، وزكى الأخلاق، وطهر النفوس، وأخرجهم من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم والهدى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)، إن الضلال المبين وقف للجاهلية قبل الإسلام، وبعد الإسلام صارت الأمة، أمة علم وخير وهدى، قادة البشرية، وسادتها بهذا الدين وحده، الذي عاملوا به حق الإيمان وطبقوه على أنفسهم، طبقوه على أرض الواقع علماً وعملاً حكموه وتحاكموا إليه، وجعلوه مصدر عزهم، ومصدر فخرهم؛ فتحاكموا إليه وحكموه وطبقوه في كل الأحوال، فسادوا ونالوا العزة والكرامة والشرف. إن ما أصاب الأمة ما أصابها من ظلم وعدوان، وما أصابها من تفرق وتمزق، وما أصابها من ضعف وتسلطات الأعداء عليها، وما أصابها من فقد شخصيتها، وتحكم الأعداء في مصيرها، وتلاعبها في أحوالها، وكون الأمة عدلت عن كل نظم الحياة، وأصبحت أمة الإسلام لا ينظر إليها إلا بنظر شذر، أنها الأمة المتأخرة، والأمة النامية والأمة، والأمة، إنما هذا نتيجة للبعد عن هذا الدين؛ فكلما بعدت الأمة عن دينها لا بد أن تصاب بضلال، ولا بد أن تصاب بنقص، ولا بد أن تصاب بضعف وذل وهوان، وكلما تمسكت بهذا الدين وطبقت أحكامه وتشريعاته؛ فلا بد من عز وكرامة وشرف في الدنيا والآخرة: (كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ* الَّذِينَ إِِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ).

أمة الإسلام، إن الله بعث الرسل مبشرين ومنذرين ليقوموا بحجته على عباده؛ لأنه لأجل عبادته خلقهم: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)؛ فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين: (رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ)، وعمت الرسالة جميع الخليقة: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ أُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)، واختار الله من هؤلاء الرسل أولوا العزم: نوحاً، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمداً -صلى الله عليه وسلم-: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ)، واختار الخليلين: إبراهيم، ومحمد -صلى الله عليه وسلم-: (وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا)، ويقول -صلى الله عليه وسلم-: "إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً"، ثم اختار محمداً -صلى الله عليه وسلم-؛ فجعله سيد الأولين والآخرين، وإمام الأنبياء والمرسلين، جعله سيد الأولين والآخرين، وإمام الأنبياء والمرسلين: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر"، -صلوات الله وسلامه عليه- بعثه على حين اندراس من العلم، وبعثه على حين فترة من الرسل و اندراس من العلم؛ فدعا إلى ما دعا إليه إخوانه الأنبياء والمرسلون: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)، دعا قومه العرب إلى توحيد الله، وإخلاص الدين لله، وتوحيد العبادة لله، وأن لا يكون مع الله شريك في كل العبادات؛ فقالوا: (أَجْعَلِ الْإِلَهَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ)، وقالوا كما قال الله: (إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ* وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُو إِلَهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ)، هكذا قالوا؛ فجاهدهم في هذا الشأن، حتى غرس التوحيد في قلوب العباد، ثم هاجر ونالوه من الأذى ما ناله، ونال أصحابه من الأذى ما نالهم إلى أن أذن الله له بالهجرة إلى المدينة؛ فهناك شرعت الفرائض وأوجبت الواجبات إلا الصلاة؛ فإنها فرضت عليه قبل الهجرة -صلوات الله وسلامه عليه-، عاش بعد الرسالة ثلاثة وعشرين سنة نبياً رسولاً؛ فأكمل الله به الدين، وأتم به النعمة، ورضي به الإسلام ديناً، بعثه رحمة للعالمين: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)؛ فرحم الله ببعثته الخلائق كلها: مؤمنها وكافرها، مؤمن عاش في سعادة الدنيا والآخرة، وكافر عاش تحت ظل عدالة الإسلام، لا ظلم ولا عدوان، وجعل كتابه العزيز نذيراً للعالمين: (تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا).

أيها المسلم، لمحمد -صلى الله عليه وسلم- علينا حقوق عظيمة؛ فأعظم حقه علينا: أن نؤمن به حق الإيمان، ونشهد أنه عبدالله ورسوله، أرسله الله ليقوم حجته علينا؛ فقد بلغ الرسالة، وأدى الأمانة ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ بعده عنها إلا هالك، لا خير إلا دلنا عليه وبينه لنا، ولا شر إلا بينه لنا وحذرنا منه - صلوات الله وسلامه عليه أبداً دائماً إلى يوم الدين-؛ فحقه علينا الإيمان به والتصديق برسالاته، إيماناً

جازما لا شك ولا ريب فيه، ومن حقه علينا -صلى الله عليه وسلم-: أن نعتقد عموم رسالته وأن رسالته عامة لجميع الخلق: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)، وألزم الله أهل الأرض طاعة هذا النبي الكريم، ونسخ برسالته كل الشرائع: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ)؛ فهو رسول ثقلي الجن والإنس إلى الخلق كلهم: عربهم وعجمهم، جنهم وانسهم، ختم الله به كل الرسالات: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)، من حقه علينا أن نصدق في كل ما أخبر؛ فهو ما يقول إلا الحق، معصوم أن يقول على الله غير الحق، حاشاه -صلى الله عليه وسلم-: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)؛ فمن حقه علينا أن نصدق أخباره، ونعتقد صدق ما يقول، مما مضى ومما سيكون، ومن حقه علينا: أن نطيعه في أوامره ونجتنب ما نهانا عنه؛ فإن طاعته طاعة الله، ومعصيته معصية الله قال تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا)، وأخبرنا ربنا أن طاعتنا له طاعة لربنا: (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ)، ومن حقه علينا: أن يكون هوانا تبع لما جاء به محمدا -صلى الله عليه وسلم-: "لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به"، ومن حقه علينا: أن نحبه -صلى الله عليه وسلم-؛ فأصل محبته أصل الإيمان، وكمالها من كمال الإيمان، يقول -صلى الله عليه وسلم-: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين"، قال له: عمر -رضي الله عنه- يا رسول الله: إني أحبك محبة فوق كل شيء إلا نفسي، قال: لا يا عمر، قال: ومن نفسي، قال: إذا يا عمر"، ومن حقه علينا: أن نحكم سنته، ونرضى بها، وتشرح صدورنا: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)، من حقه علينا: أن لا يكون في نفوسنا حرج من كل قضاء قضاه، بل نقبل أحكامه، ونرضى بها: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا)؛ فالمؤمن يقبل حكم رسول الله ولا يخطف له اختيار ولا تردد، بل يسمع ويطيع، منقاداً مطمئناً معتقداً صدقاً كل ما جاء به محمد -صلى الله عليه وسلم-، من حقه علينا: أن نجعله قدوة لنا فيما بيننا وبين ربنا؛ فنقتدي بأفعاله، ونتأسى بأفعاله، ونقبل أقواله ونقدمها على قول كل أحد كائناً من كان؛ فنحبه -صلى الله عليه وسلم-، ونقدم قوله على كل أحد نطيعه في أوامره، قال الله جل وعلا: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)، من حقه علينا -صلى الله عليه وسلم-: أن ننزله المنزلة اللائقة به -صلى الله عليه وسلم- بأن نعتقد أنه عبدالله ورسوله، عبد لا يعبد، ورسول لا يكذب، بل يطاع ويتبع؛ فلا نغلوا فيه غلوا من غلوا في أنبيائهم حتى سووهم برب العالمين؛ فإنه حذرنا من ذلك غاية التحذير، يقول -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"، وحذرنا من إطرانه والغلو في ذاته؛ فيقول لنا: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد؛ فقولوا: عبد الله ورسوله"، وقال الله له: (قُلْ إِنِّي لَا أُمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا * قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا)، (قُلْ لَا أُمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبُ لَاسْتَكْنَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ)؛ فمن حقه علينا: أن نطيعه في إخلاص الدين لله، وصرف كل أنواع العبادة لله، وأن لا نجعل مع الله شريك في عبادته، قال له رجل: ما شاء الله وشئت، قال: "أجعلتني لله ندا، بل ما شاء الله وحده".

أيها المسلم، صلة المسلم لرسول الله، صلة دائمة مستمرة إلى أن يلقى الله، صلته بمحمد -صلى الله عليه وسلم-، صلة المحب له، المقتفي بآثاره، المعتقد أن هذا هو الحق والهدى، صلته به في عبادة الله، وإخلاص الدعاء لله، وأن لا يشرك مع الله غيره، صلته به في صلاته؛ فهو يتحرى صلاة رسول الله، ويبحث عنها ليطبقها: "صلوا كما رأيتموني أصلي"، يحج كما حج -صلى الله عليه وسلم-: "خذوا عني مناسككم"، صلته بأخلاقه الفاضلة؛ فيطبقوا سنته، ويتخلق بأخلاقه؛ فما سنة تبلغه عنه إلا عمل بها ورضى بها وحمد الله عليها، وما نهى الله عنه إلا كان مجتنب بعيداً عن ذلك، صلته به في سته في أكله وشربه، ويقظته ومنامه، وسفره وإقامته، وضككه وبكائه؛ فهو دائماً يلتبس السنة، ويعمل بها جهداً، ويطبقها جهداً، رجاء أن يكون من المرافقين له في دار كرامة الله وفضله.

أيها المسلم، هكذا يتعامل المسلم مع نبي الرحمة والهدى تعامل السمع والطاعة وكمال الانقياد بهذا النبي الكريم مبتعداً عن الغلو الذي وقع به من وقع وظل بسببه من ظل؛ فغلوا في رسول

الله مديحا بلا حق، وقالوا أقوال كاذبة، وخالفوا منهجه -صلى الله عليه وسلم-؛ فاتباع سنته والعمل بشريعته هو الحق الواضح، وما سوى ذلك؛ فضلال وبعد عن الهدى، نسأل الله لنا ولكم الثبات على الحق والاستقامة عليه، ومن حقه علينا -صلى الله عليه وسلم-: أن نصلي عليه إذا ذكر لنا؛ فنصلي ونسلم عليه: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)، ومن صلى عليه صلاة واحدة، صلى الله عليهم بها عشرا، ويقول -صلى الله عليه وسلم-: "رغم أنف امرأ ذكرت عنده فلم يصلي علي فأبعده الله"؛ فإن المسلم يصلي على هذا النبي؛ فإن الأمة نالت بمبعثه الخير الكثير، والفضل العظيم؛ فنصلي ونسلم عليه، الله أخبرنا أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: (لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ)، وإنما نصلي عليه، نسأل الله أن يثني عليه في الملاء الأعلى، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم الجليل لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب؛ فاستغفروه، وتوبوا إليه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد:

فيا أيها الناس، اتقوا الله تعالى حق التقوى.

عباد الله: من حق محمد -صلى الله عليه وسلم- علينا أن نحب أصحابه الكرام، ونترضى عنهم، ونعرف لهم منزلتهم وفضيلتهم، ونعرف لهم جهادهم ونضالهم، ونعرف لهم مواقفهم مع نبيهم -صلى الله عليه وسلم-، ونعرف لهم جهادهم في سبيل الله، ونعرف لهم نشر سنته ونقلها إلى من بعدهم؛ فنحب أصحابه محبة إيمانية؛ لصحبته لهم، ونصرتهم له؛ فنحب أبا بكر، ونعلم سابقته وفضله، ونحب عمر، وعثمان، وعلي، ونترضى عن العشرة المشهود لهم في الجنة، ونترضى عن أهل بدر، وبيعة الرضوان، ومن أنفقوا وجاهدوا قبل الفتح وبعده، ونترضى عن كل الصحابة، ونعتقد فضلكم وعدالتهم ونرى حقهم وفضلهم، ونبغض من يعاديتهم، أو ينتقصهم، أو يقولوا فيهم أي قول؛ فنعلم أن ذلك ضلال، نحبه معاشر المؤمنين، نحب أمهات المؤمنين -رضي الله عنهم- وأرضاهن، ونعرف لهم سابقتهن وفضلهن وجهادهن، ونعرف لهن ما قمن به من سبيل السنة؛ فنحب عائشة بنت الصديقة بنت الصديق، نحبها من محبة رسول الله لها، ونحب بقية أمهات المؤمنين، وليس في صدورنا غل على أحد منهم، بل نحبه، ونرى منزلتهم وشرفهم وفضلهم، ومن طعن فيهم أو قال فيهم أو انتقصهم دل على أن الإيمان مفقود من قلبه؛ لأن ذلك بأن ذلك تكذيب لقول الله: (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ)، إن أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- كانوا أهل محبة وموالة له محب له من أعماق قلوبهم، لما أذن للنبي في الهجرة أتى إلى أبي بكر الصديق في الظهيرة؛ فلما استأذن عليه قال: ما الذي أتى بك يا رسول الله بمثل هذا الوقت، قال: "قد أذن لي بالهجرة إلى المدينة"، قال: الصحبة يا رسول الله؟ قال: "نعم"؛ فبكى الصديق فرحاً، قالت عائشة: وما كنت أرى الفرح يبكي حتى رأيت ما بأبي من ذلك البكاء، ولما خطب -صلى الله عليه وسلم- في آخر حياته، وقال: "إن عبداً خيره الله بين ما عنده وبين الدنيا؛ فأختار ما عنده"؛ ففطن الصديق أنه خير رسول الله، والصديق كان أعلم الناس بقول النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولما طعن عمر -رضي الله عنه-، وأحس بقرب أجله، قال لأبنة عمر: يا عبد

الله إن أهم شيء عندي أن أدفن بجوار محمد وصاحبه أبي بكر؛ فأذهب إلى عائشة، واستأذنها أن أدفن بجوار أبي بكر، ورسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فذهب عبد الله إلى عائشة وهي تبكي حزنا على عمر رضي الله عنه؛ فقال لها يسلم عليك عمر؛ لأنه قال: لا تقول أمير المؤمنين؛ فقال: يسلم عليك عمر، ويستأذنك أن يدفن مع رسول الله وصاحبه، قالت: كنت أعد هذا الموقع لي، ولكنني أؤثره على نفسي؛ فلما رجع عبدالله، قيل: لعمر هذا عبدالله فقال: ارفعوني، ثم قال: ما الأمر يا عبد الله؟ قال: ما يسرك، لقد أذنت أن تدفن بجوار رسول الله وصاحبه، قال: يا عبد الله لعلها استحيت مني؛ فإذا غسلتموني وصليتم علي؛ فمروا بجنائزي عليها؛ فإن أذنت، وإلا ادفنوني في البقيع؛ فلما صل عليه مروا بجنائزته؛ فقالت: ما كنت أهبه له حيا، وأمنعه منه ميتا رضي الله عنهم وأرضاهم، أتى رجل من أصحابه إليه؛ فقال يا رسول الله إني أحبك، ولكن كلما ذكرتك خرجت من بيتي لكي أراك، ولكنني تذكرت أني ميتا وأنك ميت، وأذكر أن منزلتك أعلى من منزلتي؛ فكيف لي أن أراك؟ فأنزل الله: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا)، كانت محبته لهم غاية الحب، خدم ربيعة الاسمي النبي، وقرب له وضوئه؛ فقال: "سلني يا ربيعة"، قال: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: "أو غير ذلك"، قال: هو ذاك قال: "أعني على نفسك بكثرة السجود"، امرأة من الأنصار يوم أحد قتل زوجها وأبوها وأخوها؛ فلما بلغت ذلك، قالت: كيف حال رسول الله؟ قالوا: بخير، قالت: أروني رسول الله؛ فلما رأيته، قالت: كل مصاب بعدك هين -فرضي الله عنهم وأرضاهم-، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيرا، تلکم المحبة الصادقة، تلکم المحبة الخالصة، ذلكم الإيمان الذي تمكن في قلوبهم؛ فيا شقاوة من سنهم وحابهم، أو انتقصهم، أو قال فيهم ما يقول، إن ذلك علامة النفاق والعياذ بالله، نسأل الله أن يرفع منزلتهم ويجزيهم عن نبيهم خيرا، وصلوات الله وسلامه على محمد بن عبدالله كما عرفنا بالله، ودعانا إلى الله، وبلغ رسالة ربه؛ فصلوات الله وملائكته عليه أبدا دائما إلى يوم الدين.

واعلموا -رحمكم الله-، أن أحسن الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وعليكم بجماعة المسلمين؛ فإن يد الله على الجماعة، ومن شذ...